مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 18 العدد 3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 1283 – 1304

رسالة التعليم القرآني بين الأصالة والمعاصرة:
دراسة تحليليّة للتحدّيات الراهنة وآفاق التكامل والتطوير التربوي

Quranic Education Between Authenticity and Modernity: Contemporary Challenges and Future Prospects

د. محمد قاسم شقبقب*
جامعة وهران، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)، Koran2010@gmail.com

تاريخ الارسال: 2026/07/27 تاريخ القبول: 2026/08/20 تاريخ النشر: 2026/06/28

ملخص:

يكتسي التعليم القرآني قديما وحديثا في المجتمعات المسلمة أهمية بالغة في إعداد الشخصية المتوازنة للفرد المسلم؛ بوصفه تعليماً تكاملياً مهمّا إلى جانب التعليم الرسمي، تكمن رسالته الأساسية في غرس مقوّمات المجتمع والحفاظ على عناصر هويّته الإسلامية والوطنية.

وتناقش هذه الورقة البحثية الإشكالات والتحديات التي تواجه التعليم القرآني في العصر الراهن عبر تصنيفها إلى أربعة أبعاد: بيئية مجتمعية، مادية وبشرية، إعلامية تسويقية، ومنهاجية معرفية. كما تهدف الدراسة إلى تقديم آفاق وحلول ومقترحات عملية؛ لضمان استمرار الرسالة التربوية للتعليم القرآني وتطوير كفاءته لمواجهة مختلف التغيرات والمستجدات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التعليم الديني، المدرسة القرآنية، الرسالة التربوية، التكامل المعرفي، تطوير التعليم القرآني.

Abstract

Historically and contemporarily, Quranic education holds paramount importance in Muslim societies as it shapes a balanced personality for the individual. Positioned as an essential, complementary component to formal education, its core mission centers on instilling fundamental societal values and preserving the core elements of Islamic and national identity.

This research paper examines the contemporary issues and challenges facing Quranic education by categorizing them into four key dimensions: socio-environmental, material and human resources, media and marketing, and epistemological-curricular. Furthermore, the study aims to offer practical solutions and actionable proposals that ensure the sustainability of Quranic education's pedagogical mission and enhance its efficiency in confronting modern transformations.

Keywords: Quran, Religious Education, Quranic School, Educational Mission, Epistemic Integration, Quranic Education Development.

مقدّمة:

القرآن الكريم رُوحٌ ونور، ومشروع تغيير ونهضة شاملة؛ كما قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[إبراهيم:1]، فهو الكتاب الذي يُخرج الناس من ظلمات الجهل والضلال والشقاء، إلى نور العلم والهداية والفلاح.

وقد حقّق القرآنُ الكريم وتعليمُه أدوارا حضارية جوهرية، تمثلت في إحداث نقلة نوعية للبشرية في شتى مجالات الحياة، فقد رفع أمما في صدر الإسلام من التخلّف والجاهلية إلى الريادة والقيادة، وجعلهم فاتحين أقوياء، يسودون العالم لقرون، بعد أن كانوا مستضعفين مقهورين.

والإشكال المتبادر هو: هل يقتصر دور المدارس القرآنية ورسالتها قديما وحديثا على التحفيظ المجرد، أم يشتمل على أدوار حضارية أكبر؟ وما آفاق التطوير التربوي و التكامل المعرفي بين التعليم القرآني والتعليم الرسمي؟ في ظل تحدّيات العصر والغزو الفكري والإعلامي الذي يهدف لسلخ المجتمعات عن هويتها الإسلامية الأصيلة.

وستتناول هذه الورقة البحثية أهمّ عناصرِ رسالةِ التعليم القرآني وأدوارِه المنوطة به قديما وحديثا، ثم نعرج إلى التحدّيات والإشكالات التي تعترض سبيله خاصة في العصر الراهن، مع اقتراح بعض الحلول والتوصيات التي نراها مهمة ومناسبة.

المطلب الأول: رسالة التعليم القرآني في المجتمع

تنوّعت مدارس التعليم القرآني وتطوّرت من كتاتيب وزوايا إلى مدارس قرآنية جمعوية وخيرية [1]، حيث كثيرا ما نجد لكل مسجدٍ مدرسةً قرآنيةً تابعةً له، وهي جهودٌ مباركة نافعة، وعلامةُ خيرٍ في المجتمع، فهي تؤتي ثمارها كلّ حين بإذن ربّها، وغايتها -في الأصل- رضوان الله تعالى، ورسالتها العامة: إنشاء جيل صالح مستقيم، متمسّكٍ بدينه وأخلاقه، محافظٍ على هويّته وكيانه، منافحٍ عن قِيَمه ومبادئه، وخادمٍ مخلصٍ لوطنه وأمّته.

وترتكز هذه الرسالة العامة على أربعة أدوار جزئية مرتبطة بها، سنوضّحها بالتفصيل انطلاقا من القرآن الكريم؛ لنعرف ما ينبغي أن تكون عليه المدرسة الأصيلة المعاصرة، لتكون فعّالة في أدوارها ومحقّقة لرسالتها، وهي كالآتي:

أولا: التحفيظ والترتيل

لا شكّ أن أوّل مدرسة قرآنية في التاريخ الإسلامي هي المدرسة النبوية، وصفها الله تعالى بقوله: **{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}**[آل عمران:164]، وعن النبيﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2]، وكان التعليم يشمل الصغار والكبار؛ لحاجة الجميع لهداية كتاب الله تعالى والتماس أنواره.

ثم نشأت مدارسُ للتحفيظ في العهود اللاحقة مركّزة على الصغار أكثر؛ لكثرة وقت فراغهم وتهيُّؤ أذهانهم للحفظ، واستجابةً لأمر النبي ﷺ: «عَلِّمُوا أَوْلادَكُمُ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ هُوَ»[3]، -وهذا طبعا دون أن يُعفى منه الكبار- ، وقد أمرَ الخليفةُ عمرُ بن الخطاب ﷺ عامرَ بنَ عبد الله الخزاعي بجمع أولاد المسلمين لتحفيظهم القرآن الكريم، وأمرَه أن يلزمهم التعليم، وقد جعل رزقَه من بيت مال المسلمين، فأمره أن يلقّنهم في اللوح كتابةً، كما أمره بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ثم يستريحون بقية النهار[4].

---

[1] ينظر: يحي بكلي، التعليم الديني في الجزائر دراسة ببليوغرافية، كله.

[2] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح 5026، 192/6.

[3] الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، باب في ذكر القرآن، ح 4، 8/1.

[4] أحمد غنيم النفراوي، الفواكه الدواني،1 /30.

ومنذ ذلك الحين جموعُ المسلمين تقتفي أثره وتسير على خطاه في تأسيس المدارس القرآنية عبر التاريخ، وكانت تركّز على التلقين والتحفيظ؛ لأجل جمع القرآن الكريم ووعيه في الصدور، فدَورُ الحفظ ترسيخُ كلماتِ القرآن ومعانيه في صدر المتعلّم حتى يسهُل استحضارُه في أيّ موقفٍ من مواقف حياته بدباهة ونباهة، دون الرجوع إلى المصحف الشريف، كما قال تعالى: **{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}** [العنكبوت:49].

كما يُوصى في تلاوة القرآن أن يُتلى حق التلاوة؛ وذلك بالترتيل وحسن الأداء، كما أُنزل وكما أمر الخالق الحكيم **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ}**[البقرة:121]، وحكمة ذلك أن تكون تلاوتُه فصيحةً واضحةً للقارئ والمستمع؛ فتُحدِثُ طمأنينةً في النفوس وأثرا طيّبا في القلوب، ثم في السلوك.

ولا شكّ أنّ قيامَ المدرسة القرآنية بدور التحفيظ والتلقين المرتّل يثمر رصيدا لغويا كبيرا وثراء معرفيا واسعا لدى المتعلم؛ إذ إن سماعَه لنطق الألفاظ بفصاحة وتكرار، وكتابتَها بضبطِ رسمها على اللوح ينمّي مهاراتِ القراءة والكتابة، ويقوّي القدرات الذهنية، ويمرّن الذاكرة ويوسّع طاقة استيعابها، ويطوّر ملكات الحفظ والاستحضار.

ثانيا: التربية والتزكية

إن مقام تعلّم كتاب الله لا بدّ أن يكون في أجواء عالية من التربية والتزكية؛ حتى يظهر أثره في سلوك المتعلّم، ولا يكون كمثل الدابة تحمل أسفارا ولا تدري ما فيها، يحفظه وهو يخالف أحكامه ولا يعرف قدرَه ومنزلتَه؛ لذا دأب الأوّلون على تعليم الأدب والتربية إلى جانب تحفيظ القرآن؛ إذ يُصَاحَبُ حفظُ القرآن بالتخلّق والتزكية والهندام اللائق والتأدبّ في هيئة الجلوس وإمساك اللوح، وحفظ اللسان وتوقير الكبير، وضبط الوقت، وعدم اللهو والاشتغال وقت الدرس، ونحو ذلك[5].

لذا جاءت التلاوةُ متبوعةً بالتزكية: (**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**)؛ فليس من اللائق بطالب القرآن أن يكون مخالفا لآدابه وأحكامه، وأن لا يُنزلها إلى واقع حياته وسلوكه؛ فالقرآن إنما غايته الاهتداء والاتباع، والحفظ مجرد وسيلة لذلك، بل هو حجة لصاحبه أو عليه، فقد يرفعه إلى عليّين وقد ينزله أسفل سافلين، ومن أعظم ما يسخط الجبار ﷻ

[5] مصطفى وينتن، تجربة تحفيظ القرآن في المدارس القرآنية بواد مزاب، مجلة الذخيرة، ع1، ص158.

مخالفة العمل للقول؛ حيث يقول تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف:3]، ويقول أيضا: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[الأعراف:175-176]، وعن النبي ﷺ أنه قال:« إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ» [6]؛ فوجب التنبّه والتحرّز.

ولا يشفع في ذلك كون طالب القرآن صغيرا، فتلك المرحلة هي الفترة الأساسية في تنشئة شخصية الطفل وبناء تصوّره للحياة؛ فينبغي أن يتعوّد على تجسيد القرآن في سلوكه منذ نعومة أظفاره، فهي فرصة ثمينة لتربيته على أخلاق كتاب الله والتحلّي بآدابه ما دام عقلُه فتيّا وغصنُه طريّا؛ فإنّه إذا تُرك على هواه ونشأ على سوء الفعال عسُر تغيير تصوُّره وسلوكه بعد اشتداد عوده.

والتربية على هدي القرآن العظيم وسنة نبيه الكريم تقوّي انتماء الفرد لمجتمعه، وتحقّق له الأمن النفسي، حيث يتعوّد على الأخوّة الإسلامية والإيثار والعدل والصدق وحفظ الأمانة، ونحو ذلك من القيم التي تُؤخَذ بطولِ الوقت وحسنِ القدوة؛ وبهذا تصلحُ مقولةُ: 'إذا أردت أن تغلق سجنًا فافتح مدرسة قرآنية'[7]؛ حيث يكون لمدارسنا القرآنية الدور الوقائي من الآفات الاجتماعية، فتصبح حصنًا حصينا للمجتمع من الانحراف [8].

فالتربية وتقويم السلوك إذن علامةُ جودةٍ في أداء المدرسة القرآنية؛ فكما أنّ جودةَ المصانع تقاسُ بجودة منتوجاتها؛ فكذلك جودة المدارس القرآنية إنما تقاس بجودة مُخرجاتها سلوكيا واجتماعيا، وليس فقط بالنظر إلى أعداد الحفظة والمستظهرين. وفقدانُ هذه الجودة السلوكية في مخرجات المدارس القرآنية ينبغي البحث عن أسبابه في منهجية التدريس، كأن يكون السبب هو الاقتصار في البرنامج الأسبوعي على حصص الحفظ والاستظهار دون الحصص الإيمانية والأخلاقية والمرافقة التربوية؛ إذ تنشأ صورة ذهنية

[6] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، ح817، 201/2.

[7] أصل المقولة: "من يفتح باب مدرسة، يغلق باب سجن"، "Ouvrir une école, c'est fermer une prison"ينظر: فيكتور هوجو Hugo ,*Claude Gueux*, p21–23 . والمدرسة القرآنية أولى بذلك.

[8] حسينة ميلودي، دور المدرسة القرآنية في تربية وتحضير الطفل للتمدرس، ص213.

لدى الطالب بأن الغاية من القرآن إنما هي حفظه وترديدُه في الصلاة والمناسبات ولو دون تدبّر وخشوع؛ فتجده يمرّ على الآيات القارعات دون أن يرقّ له قلب أو يرفّ له جفن أو تدمع له عين؛ وهذا من اختلال التوازن في البناء[9].

إن تلك المنهجية القاصرة مخرومةٌ وغيرُ محمودة العواقب؛ وقد عاب الله على ذلك بقوله: **{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** [محمد:24]، وقال: **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون}**[الحديد:16]، وقد نُقل عن أصْحابِ النَّبيّ ﷺ «أنَّهم كانوا يَقتَرِئونَ مِن رسولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آياتٍ، فلا يَأخُذونَ في العَشْرِ الأُخرى حتى يَعلَموا ما في هذه مِن العِلْمِ والعَمَلِ، قالوا: فعَلِمْنا العِلْمَ والعَمَلَ»[10].

فينبغي تربية التلميذ على نهج الالتزام والتخلّق بأخلاق القرآن، لينزل نورُها في قلبه وتتجسّد في سلوكه، ولا يشترط أن يكون ذلك في أوقات الحفظ والاستظهار، وإنما بتخصيص حلقات مفرّغة لدروس التزكية والإيمان، فاسمُ 'المدرسة' في فحواه يعني الدرس أي البسط والشرح والتحليل، -وإلا فهي مسردة وليست مدرسة-، وفي الواقع ما نجده مع كل المواد الدراسية الأخرى العلمية والأدبية أنها لا تُتناول بمجرّد الحفظ والسرد؛ إذن كتاب الله تعالى أولى بالدرس والاستيعاب والتنزيل إلى واقع الحياة.

لذا فمن رسالة المدرسة القرآنية غرس رقابة الله في قلب الطفل؛ حتى يكون له وازعٌ ذاتي يمنعه من المعاصي، لا خوفا من والديْه أو معلّمه؛ وفي حال وقوعه يسارع للتوبة، وفي غيابِ ذلك فلا عجبَ أن نجد من بين ضحايا الانحراف والمخدّرات تلاميذَ تخرّجوا أو انقطعوا عن المدرسة القرآنية فاحتضنتهم معاول الهدم والرذيلة.

[9] حسينة ميلودي، دور المدرسة القرآنية في تربية وتحضير الطفل للتمدرس ، ص212.

[10] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ ، مح 23482، حديث حسن، 466/38.

والمجتمعات المسلمة عبر التاريخ قد تعرّضت لموجات من الغزو الفكري والثقافي، من خلال نشر ثقافة المستدمر الرامية لمحو آثار الهوية الإسلامية وإبدالها بالفكر التبشيري التنصيري أو التحرّري العلماني، وقد نجحت في ذلك نسبيا، لكن المدارس القرآنية ساهمت -ولا تزال- بفضل الله كثيرا في مواجهته والحدّ من آثاره؛ فالتربية والتزكية بالمدارس القرآنية سلاحٌ مهم لمواجهة طوفان الغزو الفكري والثقافي الذي تبثّه الفضاءات الإعلامية ومختلف مواقع التواصل الاجتماعي -بالأخصّ في هذا العصر-، وإنّ الغزوَ الفكريَّ أشدُّ خطرا وفتكا من الغزو العسكري المسلّح؛ لأن العدوَّ في الغزو الفكري يأتي بأسلوب ناعم في ثوب الصديق المسلّي أو الناصح الأمين فيدمّر الفكر والأخلاق والقيم تدميرا من دون وعي وشعور، ويقطع صلة هذا الجيل بدينه وحضارته وتاريخ ماضيه الأصيل.

ثالثا: التعليم والتفقيه

كان للمسجد ومدرسته القرآنية في القديم أدوارٌ حضاريةٌ جوهرية، فقد كان مركزا للتربية والتعليم وإعداد الرجال، قال ابن باديس: "المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهَر الإسلام، فما بنى النبي ﷺ يوم استقر في دار الإسلام بيتَه حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم"[11]؛ فانظر لأهمية التعليم ومحوريته بالمسجد.

وقد كان عبد الحميد ابن باديس مثالاً يُحتذى في ذلك؛ فقد اتّخذ من الجامع الأخضر بقسنطينة معهدا لتكوين النخبة وإعداد القادة، للنهوض بالأمة ضدّ التخلف والطغيان، وكان تعليمه موجّها إلى ثلاث فئات: الطلاب المتفرّغين للدراسة، وعامة الناس من الرجال والنساء، وقد منح المرأةَ أيضا حقَّها المسلوبَ من التعلّم، إضافةً إلى تعليم الأطفال الصغار، وكان الشيخ يعتني بتنظيم شؤون طلبته وتربيتهم تربيةً شاملة تعدُّهم لمعترك الحياة، بعد إنهاء دراستهم، وكان يتولّى الإشراف عليهم شخصيا، ويتابعهم فردًا فردًا متابعةَ المعلّمِ الواعي والمربّي الحكيم، والأبِ المسؤول، وشكّل لجنةً مشرفةً على ذلك[12].

[11] ابن باديس، تقرير في التعليم المسجدي، ص 95.

[12] عيسى عمراني(2021م)، الجامع الأخضر منارة التعليم المسجدي، https://tinyurl.com/5n6saxr4 .

وقد ساهم التعليمُ القرآنيُّ المسجديُّ بشكلٍ كبير في التزام الناس والناشئة بنهج الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والحقوق، بما يتلقّونه من دروس التزكية والإيمان بالله واليوم الآخر، ودروس الفقه لتعلّم الأحكام الشرعية، ودروس السيرة والتاريخ الإسلامي لأخذ القدوات الجديرة بالاحتذاء، ودروس النحو والصرف لتيسير فهم كتاب الله، والمحافظة على اللسان العربي من الاندثار، كما أثمَر ذلك تخريجَ علماءِ الدين لحمل لواء المحافظة والإصلاح والتغيير، وإحياءِ حركة الاجتهاد الفكري والنهوض الحضاري.

ولم يقتصر التنويه بهذا الدور على المصادر المحلية، بل وثّقت العديد من الدراسات الأكاديمية والاستشراقية الأجنبية الأثرَ الإيجابي للمدارس القرآنية في الحد من الأمية ورعايتها للعملية التعليمية في المجتمع المسلم عبر العصور؛ فهذا 'فكتور روبنصون'[13] يقول بعد كلام طويل في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس وحالة أوربا في القرون الوسطى: "وكان أشراف أوربا لا يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون إلى المدارس، وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلّمو قرطبة قد أسّسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة"[14].

ودراسةٌ للباحثيْن 'سيلفا' و'ماكنفين' (Silva and McNevin)[15] عن المدارس القرآنية ضمن برنامج اليونسكو لمكافحة الأمية، توصّلت إلى أنّ المدارس القرآنية أحد أهمّ الحلول للحد من تفشّي الأمية في العالم، وخاصة العالم الإسلامي بعد أن سعى المحتلّ وحلفاؤه إلى تقويض نظام التعليم وإضعاف بِنيته[16]. ودراسةٌ أخرى لـ'سكرينر' و'كول'[17] (1981م) على المدارس القرآنية في ليبيريا بغرب إفريقيا، وكان من نتائج دراستهما التي لقيت تداولاً كبيراً في أدبيات علم النفس أن الكبار الذين تلقوا تعليمهم في المدارس القرآنية خلال فترة شبابهم يتمتّعون بقدرة على تذكّر المقاطع اللغوية الطويلة أكثر بكثير من أولئك الذين لم يلتحقوا بالمدارس القرآنية[18].

---

[13] طبيب أمريكي مؤرّخ.

[14] عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، 259/1.

[15] باحثان أمريكيان مُتخصِّصان في علم النفس التربوي وتطوير المناهج.

[16] عبد الله بن هادي القحطاني، المدارس القرآنية دور عالمي جديد، مجلة البيان الرقمية، ع363، 2017م.

[17] باحثان في العلوم التربوية والنفسية، تتركز دراساتهما حول تطوير أدوات القياس والتشخيص المبكر وتحديث المناهج واستراتيجيات التدريس.

[18] القحطاني، مرجع سابق، مجلة البيان الرقمية، ع363.

كما أظهر 'واقنر'[19] في نتائج دراسة اختبارات القدرة على الاستنتاج المنطقي والقدرة على استيعاب القراءة باللغة العربية ومهارات الذاكرة المتسلسلة: تفوّقَ طلبةِ المدارس القرآنية بدلالة إحصائية عالية على أولئك الذين لم يلتحقوا بالمدارس القرآنية، بل إنّ أداءَ الطلاّب الأعاجم الذين التحقوا بالمدارس القرآنية كان يُظهر تحسّناً ملحوظاً مقارنة بأولئك الذين لم يلتحقوا بالمدارس القرآنية، وأن الادّعاءات بأن المدارس القرآنية تؤثّر سلباً على القدرات العقلية لا أساس لها من الصحة[20].

والمحتلّ الغربي يقرّ بتجذُّر التعليم في عمق المجتمع المسلم تحت كل الظروف، كما أشار إلى ذلك تقرير مرفوعٌ لإدارة الاحتلال الفرنسية، يقول: "مِن طرف غرب إفريقيا الفرنسية إلى طرفها، من دجيني إلى كان كان، ومن كياس إلى تمبو.. ما يلفت نظر المشاهد السطحي هو ذلك التشابه الكامل بين هذه المدارس القرآنية، فنجد السكان الأصليين السود الذين لا يجيدون العربية العامية يدفعون بأبنائهم لدراسة اللغة العربية الفصحى – لغة القرآن – فنجد المسلم يقرأ ويكتب باللغة العربية الفصحى، ويستطيع أن يستمرّ في تعليمه حتى يصبح عالماً بالعربية وثقافتها،... تستطيع أن تتحدث بكل تأكيد أن كل منطقة بل كل قرية تحوي مدرسة قرآنية، ولقد رأيت المدارس القرآنية في كل مكان ذهبت إليه"[21].

لقد أذهل هذا الانتشار للمدارس القرآنية الباحثينَ المهتمّين في كل أنحاء العالم، فهذا البروفيسور 'روس'[22] يؤكّد أن الهجائية العربية قد لعبت دوراً عظيماً في نشر التعليم بين عوامّ الناس في الهند، في زمن كان التعليمُ محتكَراً من قبل الطبقة العليا في الهند وهي البراهما[23].

ومع اعترافِ مؤسَّساتٍ عالَمية بأنّ نظامَ المدارس القرآنية من أيسر وأنجع السبل لنشر التعليم الأساسي ومحو الأمية وبوسائل وميزانيات محدودة، إلا أنّ بعضَ الإحصاءات

[19] خبير وتربوي أمريكي وزميل أبحاث سابق بجامعة هارفارد، متخصِّص في الابتكار التربوي.

[20] القحطاني، مرجع سابق، مجلة البيان الرقمية، ع363.

[21] عبد اللطيف مشرف(2019م)، الدور التاريخي للمدارس القرآنية في مواجهة سياسة المستعمر والأمية، موقع الجزيرة نت.

[22] من معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن.

[23] عبد اللطيف مشرف، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

تقرّر أنّ غالبية الدول ذات مستوى الأمية الأعلى في العالم هي دول إسلامية[24]؛ مما يدلّ على أن التعليم القرآني لا زال مقصورا على نسبةٍ قليلة من جمهور المجتمع المسلم، مما يتوجّب مضاعفة الجهود ليصل التعليم القرآني إلى أوسع نطاق، خاصة في ظل توفّر وسائل الإعلام، وتنوّع طرق التعليم عن بُعد.

رابعا: الإصلاح والتغيير

التعليم الديني لم يكن مجرّدَ أقسام للتلقين والتحفيظ منقطعًا عن واقع الحياة، بل كان له دورٌ جوهري في النهضة والحضارة وإثراء عناصر القوة؛ إذ يبيّن د. محمد عبد الله دراز في مبحثٍ عن وظيفة الأديان في المجتمع أنه: ليس على وجه الأرض قوةٌ تكافئ قوةَ التديّن أو تدانيها في كفالة احترامِ القانون، وضمانِ تماسك المجتمع واستقرارِ نظامه، وحراسة الأمن والسلام، وترشيد توظيفِ العلوم والمعارف لصالح البشر، وأنها خيرُ ضمانٍ لقيام التعامل بين النَّاس على قواعد العدالة والإنصاف[25].

كما يذكر 'ارنولد توينبي'[26] أن الحضارات تولّدت من رحم الأديان، ووراء كلّ حضارة من الحضارات القائمة ديانةٌ عالمية؛ فالعقائد الدينية هي التي تسيّر مجرى التاريخ وتلعب دورا مهما في أحداثه[27].

لذلك كان المحتلّ الفرنسي بالجزائر يبذل أساليبه الماكرة لفرنسة شعب الجزائر وطمس هوّيته، لكن جلّ محاولاته باءت بالفشل؛ بسبب النشاط المضاد الذي قام به المجتمع في ميدان المدارس القرآنية والنوادي والجمعيات الثقافية والخيرية؛ مما حفظهم من الوقوع في مخالب سياسة الاحتلال إلى حدّ ما[28].

لقد أدرك المحتلّ أهمّية التعليم القرآني في تكوين جيل الثورة؛ المتمثّل في إعداد الشخصية المؤمنة المتمسّكة بالله، الواثقة في نفسها وفي قدرتها على تغيير محيطها من آثار ما يبثّه المستدمر من خضوع وفساد، فأصبح الطلبة في نظر المحتلّ العدوَّ اللدود، وهم

[24] القحطاني، مرجع سابق، مجلة البيان الرقمية، ع363.

[25] دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ص99-102.

[26] مؤرخ بريطاني.

[27] توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، 152/3 فما بعد.

[28] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص254.

المشوّشون والمعكّرون لصفو الأمن، يجب التنكيل بهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم؛ لذلك سُلّطت الأضواء على دُورِ العلم والتعليم، واعتُبرت مراكزَ تشويش وفتنة وعداء لفرنسا، فلا تسأل بعد ذلك عما وقع من تغريم وسجن وتعذيب وأشغال شاقة لشهور عديدة في 'تعظْمِيت' مركز التعذيب في الجنوب، الذي يشبه 'تزولت' و'البرواقية' في الشمال، سيق إلى هذا المركز كثيرٌ من كبار الطلبة والأعيان، وسيق إليه مرةً هيئةُ عزابة القرارة كلّهم جميعا[29]، كلّ هذا لإدراك فرنسا أثرَ التعليم القرآني الديني في صدّ خططها التذويبية.

وقد كانت للمدارس القرآنية جهودٌ بارزة في الدِّفاع عن حياض الجزائر في وجه الغزاة المعتدين، فقد شارك طلبة المدارس القرآنية بالغرب الجزائري ومنهم 'طلبةُ مازونة'[30] في ردّ العدوان الإسبانيّ على وهران، وشارك طلبةُ الزوايا في المقاومات الشعبية، وكان لأبناء الجزائر من خرّيجي المدارس الدينية والكتاتيب القرآنيّة صفحاتٌ ناصعة أثناء الثّورة التّحريرية الكبرى، فكان منهم الجنود والقادة الذين ألحقوا بفرنسا الهزائم في ميدان الشّرف والبطولة[31]، كيف لا؟، والقرآن الكريم غرس في قلوبهم أن ثمن الجنة المجاهدة في سبيل الله بالمال والنفس؛ وأيّ عقيدة قتالية أكبر من هذه!.

كما أن التشبّع بالجانب الديني ساهم في تعطّل التوغل الاحتلالي الاقتصادي بـ'عين صالح'، حيث كان يسعى للسيطرة على هذا المركز التجاري الصحراوي الذي كان أُمنِية الفرنسيين للسيطرة على الإقليم التواتي ومنطقة 'أهقار'، إلى غاية 'تمبكتو' وذلك بفضل تصدّيهم للعدوّ بشتّى الطرق التي يمتلكونها كالمقاطعة وغيرها [32]، كما قادت العالمة الزعيمة 'مامة نسليمان' في منطقة مزاب حملةَ مقاطعة اقتصادية صارمة ضدَّ المستدمر الفرنسي، إذ أصدرت فتوى تحريم اقتناء بضائعه وإعلان البراءة ممن خالف، وكانت قراراتها تأخذ صفة القانون، وتطبَّق في جميع قرى وادي مزاب[33].

---

[29] المرجع نفسه، ص421.

[30] تلامذة المدرسة الفقهية التاريخية المرموقة بمدينة مازونة (ولاية غليزان) في العهد العثماني.

[31] جمال غول(2022م)، المدارس القرآنية بين الإنجازات والتحديات، موقع الشروق اليومي.

[32] عائشة بلامة مرزاية، المدارس القرآنية بالجنوب الجزائري ودورها، ص5.

[33] ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية -قسم المغرب، 768/1.

وكان من المدارس القرآنية في عهد الاحتلال الفرنسي ما يسمى بـ'الرباط'، وهو ما يشبه ثكنة عسكرية للثوار، يتخذونها مقرّا للراحة والاعتكاف ودراسة القرآن أيام السلم والهدنة[34]، فمقاومة الاحتلال تعدّدت أشكالها؛ فمنها ما هو عسكري بالعُدّة والسلاح، ومنها ما هو فكري بالتعليم القرآني للحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية والروح القتالية والعقيدة العسكرية، وهذا ما نراه اليوم جليّا في شباب مقاومة غزة الأبطال؛ إذ يتخرّج أفرادها في برامج صفوة الحفّاظ وأمثالها بروح قتالية قوية، وصمود أسطوري أضحى مضرب المَثَل في العالم.

وإذا كان دورُ المسجد وتعليمه القرآني اليوم قد تقلّص لوجود المعاهد والجامعات المتخصّصة ومختلف المؤسسات والجمعيات التي تزاحمه في أدواره؛ فينبغي أن يبقى المسجدُ هو المشرف عليها والموجّه لها، على أن يكون أداؤُه وجودتُه في المستوى المطلوب؛ حفاظًا على رمزيته التاريخية ودورِه الاستراتيجي الحضاري في تثبيت هوية المجتمع من تقلّبات الأعاصير الفكرية العاصفة، وصيانة وحدة البلد من التيارات المتطرّفة والهدّامة، ووقاية الأجيال من التّفسخ والتحلّل والضياع.

المطلب الثاني: تحدّيات التعليم القرآني؛ إشكالات وحلول

تواجه المدارس القرآنية في العصر الراهن تحدّيات وإشكالات قد تقف عائقا أمام تحقيق رسالتها وأدوارها، أو تحدّ من فاعليتها وتأثيرها، ويمكن تصنيفها كالآتي:

أولا: تحدّيات بيئية مجتمعية

تتمثل التحدّيات البيئية المجتمعية في بعض التصوّرات العالقة في أذهان كثير من الأولياء من الاستهانة بالدراسة القرآنية، وادّعاءِ أنها تشكّل ضغطا على الطفل وتشغله عن التعليم الرسمي؛ مما جعل العديد من المدارس تكتفي بالتعليم القرآني للمستوى التحضيري فحسب دون غيره من الأطوار؛ بسبب انقطاع التلاميذ وكثرة غيابهم؛ ووفق هذا التصوّر أضحى التعليم القرآني لدى هؤلاء أمرا كماليا ثانويا، وأقلَّ أهمية من التعليم الرسمي، والأصل هو أنّ التعليم القرآني أهمّ وأولى لدى كلّ من يعتقد أن الآخرة خيرٌ وأبقى، وأنها أعلى وزناً وشأناً من الأولى.

[34] محمد السالم نواري و عبد القادر قصباوي، المدرسة القرآنية وأثرها، ص6.

وقد كان السابقون يعتبرون التعليم القرآني أساسيا إلزاميًّا لا يمكن الاستغناءُ عنه، كما قال أبو غانم الخراساني(ت200ه): "ومن السُّنة أن يعلَّم الصبيانُ من الدين ما احتملوا؛ ليكون لهم عادة، فإنهم يعلّمون القرآن ويضربون عليه،... وكذلك يأخذون من العلم بما أطاقوا حتى يعتادوا به، ويكرهون عليه كما يكرهون على القرآن"[35]، وقال أيضا: "ويؤدّب على التعلّم كما يؤدّب على القرآن، ولا يعذر والده أو وليه على ذلك"[36].

وذكر ابن خلدون "أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبتني عليه ما يحصل بعد من الملكات"[37].

ومما يُصحَّح به وهمُ إشغالِ المدرسة القرآنية للطفل عن التعليم الرسمي الدراساتُ الكثيرة المتواترة التي تبيّن أن تلاميذ المدرسة القرآنية أكثر تفوّقا من غيرهم، وأنهم الأوائل حتى في المدارس الرسمية، وهو ما نشاهده في نتائج شهادات البكالوريا كلّ عام.

أما فيما يخص تنمية ملكة الحفظ فإن التعليم القرآني ينمي لدى التلميذ ملكة الحفظ ويشحذها؛ لأنها الأساس في التعليم القرآني، فاستظهار عدد من السور القرآنية والمتون يعينه على الاستيعاب الذي تتطلبه كثير من المواد والنشاطات في المدرسة النظامية كالنصوص والتواريخ والأحداث والقواعد والقوانين الفزيائية والرياضية؛ فعملية الحفظ هذه تمثّل الدافع الضروري للقوة المتخيّلة التي تعمل على تحقيق عملية التذكّر[38].

أضف إلى ذلك اشتراك كلا المدرستيْن القرآنية والرسمية في بعض المواد كالتربية الإسلامية واللغة العربية والتاريخ الإسلامي؛ مما يجعل التلميذ أكثر تمكّنا وتميّزا في أنشطة هذه المواد.

---

[35] الخراساني، المدونة الكبرى، 124/1.

[36] المرجع نفسه، 123/1.

[37] ابن خلدون، المقدمة، ص 1360.

[38] محمد السالم نواري وعبد القادر قصباوي، المدرسة القرآنية وأثرها، مرجع سابق، ص8.

ومن هذه الدراسات التربوية المتخصّصة في مناهج التدريس التي تؤكد ذلك[39]:

-دراسة 'سعد بن فالح المغامسي': أظهرت أن تلاوة القرآن وحفظه ودراسته أسهمت في تنمية القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي؛ مما مكّن التلاميذ في مدارس تحفيظ القرآن الكريم من التفوّق على أقرانهم بالمدارس الرسمية.

-دراسة 'هانم حامد ياركندي': دلت على تفوق طالبات الصف الرابع في مدارس تحفيظ القرآن على طالبات مدارس التعليم العام في مهارتي القراءة والإملاء.

-دراسة 'محمد موسى عقيلان': دلت على وجود علاقة فاعلة (إيجابية) قوية بين حفظ التلاميذ وتلاوتهم للقرآن الكريم ومستواهم في مهارتي القراءة الجهرية والصامتة.

-دراسة 'وضحى السويدي': دلت على وجود علاقة فاعلة (إيجابية) قوية بين حفظ القرآن الكريم وتلاوته، وبين القراءة الجهرية والقدرة على الكتابة لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي .

ومما نقنع به الأولياء من فوائد المدرسة القرآنية أيضاً أنها تغرس في نفس الطفل احترام الزمن، وتؤصّل فيه روح الانضباط، وتدفعه إلى تطبيق ذلك في جميع مجالات حياته، كما تشحن التلميذ بالدافعية الإبداعية والتفوّق؛ وذلك لكون النص القرآني مفتوحا على كل العوالم ماضيا وحاضرا ومستقبلا، إضافة إلى عالَمي الغيب والشهادة؛ مما يدفع الدارسَ له إلى سبر جميع هذه الأغوار قصد الوصول إلى الاستكشاف في جميع المجالات، ولا شطط أن شخصا بهذه المواصفات سيكون عاليَ الهمة، ومتفوّقا في حياته ودراسته الرسمية؛ حيث إذا ما نظرنا في سير جلّ النوابغ والأذكياء من أبناء الأمة الإسلامية فإننا نجد تصدّر سيرتهم بعبارة: حفظ القرآن في سنّ مبكر[40].

[39] د. رفيقة يخلف، المدرسة القرآنية والطفولة، مجلة الباحث، ص123.

[40] نصر سلمان، المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي، ص40.

وبناءً على ذلك؛ فإذا كان لكلٍّ من المدارس القرآنية والرسمية خصوصيتُها التعليمية؛ فإن العلاقة بينهما تظلّ علاقة تكامل وتناغم تؤدّي إلى تحقيق الهدف التربوي المشترك؛ فكلاهما رافدان من روافد العلم؛ ويتضافران لتحقيق الشخصية المتّزنة للشاب المسلم الصالح، الذي يجمع بين المادة والروح، وبين حسنتيْ الدنيا والآخرة، وفي غياب أحدهما سيقع -لا محالة- في القصور والاختلال.

في الأخير نجد أنّ ادّعاء الضغط على الطفل بسبب المدرسة القرآنية ما هو إلا تبرير للكسل وقلّة النظام؛ إذ معدل مجموع ساعات الدراسة القرآنية والرسمية لا يتجاوز 8 ساعات في اليوم، فيبقى للطفل 16 ساعة بين راحته ولعبه وفراغه؛ فيكون الخطرُ محدِقا به؛ إما لاحتمال سقوطه في إدمان الألعاب الإلكترونية والتعرّض للغزو الفكري والأخلاقي، أو في رفقة السوء واتباع سبيلهم، كما يقول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسدة[41]

ثانيا: تحدّيات بشرية مادية

لعلّ من أهم التحدّيات التي تواجه إدارة المدارس القرآنية شحّ الموارد البشرية والمادية، كنقص الإطار التربوي الكفء، ونقص الموارد المالية لاستقطابهم وتكوينهم والعناية بهم، ممّا يجعل أفقها ضيّقة وفاعليتها محدودة، ومن أسباب ذلك: نقص وعي المجتمع بقيمة العلم وبأهمية الاستثمار في العقول والطاقات البشرية، وقد تجد كثرة الاستثمار في البنيان على حساب الاستثمار في الإنسان؛ مع أنه هو الأساس الذي يُبنى عليه نجاح المشروع واستمراره، يقول إبراهيم أبو اليقظان[42] في وصف هذا الواقع: "إنّ أغلبية أبناء الأمة يرون أن السعادة والحياة لا تتوقف على العلم والتعليم، وإنما تتوقف على المال ووفرة الجاه، ولا دخل للعلم في العز والحياة، بل ربما رأى البعضُ العلمَ عائقا في سبيل تحصيل المال، وهذا هو السرّ في الزهد العام تقريبا من الأمة في العلم والرضى بالجهل"[43]، وقلة الإنفاق في سبيل العلم.

[41] أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ص 162.

[42] عميد الصحافة الجزائرية ورائد الفكر والإصلاح في وادي مزاب.

[43] أبو اليقظان، التعليم القرآني، جريدة وادي مزاب، ع 105.

ولمعالجة هذا الوضع يقوم العلماء والمشايخ بحملات واسعة النطاق، باستعمال مختلف منابر المساجد واللقاءات والمناسبات والمحافل الاجتماعية، وعقد الجولات إلى مدن الشمال حيث تجمّعات التجار؛ لأجل تصحيح النظرة الخاطئة عن التعليم وعن الجدوى منه، ومحاربة اللامبالاة به، بل كانوا في بعض الأحيان يتّصلون بأرباب العائلات والعشائر ليقنعوا الأولياء بتسبيل بعض أبنائهم النجباء لمواصلة الدراسة والتكوين[44].

ومن أبرز من قام بهذه الحملة في القرن الماضي الشيخ إبراهيم بيوض[45] حيث يقول مخاطبا الجماهير في أحد اجتماعاته: "إخواني الأعزاء؛ لقد رأيتم نتائج العلم الحميدة؛ فهل أنتم مستعدون لخدمته بصدق وإخلاص، هل أنتم مؤيدون مشاريعه بالإنفاق في سبيلها؟، ما للبعض يبخلون وتنقبض أيديهم عن الإنفاق؟ لو أنفقنا عُشر ما ننفقه على الشاي والقهوة لوفّرنا للعلم ومشاريعه ملايين كل سنة، ولبلغنا غايتنا منذ زمن بعيد. على المعلمين أن يعلّموا، وعلى الآباء أن ينفقوا بسخاء. لم تقم هذه المدارس وأبنيتها الشامخة بلا شيء، ولا أدواتها اللازمة لها وجهازها الضروري الغالي. أنفقوا على هذه المدارس والمعاهد قبل أن تنفقوا على ضروريات المعاش. اهتموا بأرواح أبنائكم قبل أن تهتموا بأجسامهم... إن الإنفاق في التعلم رأس الصدقة، وعبادة كبرى، وهو سبب الزيادة والبركة في المال وفي كل نعم الله للمنفق"[46].

فالتحدّي المادي من أهمّ حلوله: ترغيب الناس وتحسيسُهم وحضّهم على الإنفاق وحمل تكاليف التعليم القرآني على عاتقهم كميدانٍ للتجارة الغيبية والمجاهدة في سبيل الله بالمال والنفس كما أمر القرآن في عشرات المواضع، بل جعلَه شرطا ضروريا لنيل جنة الرضوان، **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيم . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}**[الصف:11]، فهذا الميدان هو أولى بالبذل والعطاء من تبذيره في مظاهر البذخ والترف والترفيه.

[44] الشيخ بلحاج، التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين، مجلة الصراط، ع 29، ص189-190.

[45] زعيم النهضة الإصلاحية والعلمية في وادي مزاب.

[46] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، 4/106-107.

أما التحدّي البشري فحلّه: إيجاد بيئة مشجّعة ومناسبة لتكوينٍ معمّقٍ للمعلمين والمربّين والقيادات في نظام تفرّغٍ وإقامة شبه مغلقة، في العطل وغيرها، وقد كان العلامة ابن باديس يتكفّل بإطعام الطلبة وإيوائهم عن طريق صندوق الطلبة الذي يموّل من تبرّعات المحسنين وزكاتهم، وإسهام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[47].

ومن الحلول العصرية أيضا: تحفيز الأساتذة المثابرين بأجور محترمة وعلاوات محفّزة؛ لضمان الاستمرار والفعالية، مع المتابعة والصرامة في المحاسبة على الجودة والاحترافية والتفاني في الأداء.

ومن الحلول الاقتصادية التي تسهم في ترشيد النفقات: التنسيق الميداني مع جمعيات أولياء التلاميذ بالمدارس الرسمية وإدارتها لاستغلال هذه المدارس الرسمية للتعليم القرآني في التوقيت المسائي؛ وهذا مما يخفّف كثيرا من الأعباء المادية الباهظة في البناء والتجهيز، ليُصرفَ جلّ الاهتمام إلى الجانب البشري وتكوينه وتطويره.

ورغم النّجاحات المحقّقة للتعليم القرآني على مختلف الأصعدة لا تزال العناية بهذا التّعليم في موارده البشريّة (معلِّمين وطلبة)، والماديّة (هياكل وإدارات) محتشمة، وغير منظّمة، وما لم يُنظر إليها على أنّها فريضة شرعيّة، وضرورة واقعيّة، وأمانة في أعناق الرّاعي والرّعيّة فستبقى على حالها، ولهذا فتقنينها كخدمة مؤسّسية، ورصد ميزانيّة ماليّة محترمة كلَّ عام لتطويرها وتوسعها واجبٌ على الدَّولة والمجتمع، وكذا الاهتمام بطاقمها ورعاية مواهبها وتنظيم شهاداتها ووظائفها، فهي أولى مما يُرصد للرّياضة والثّقافة والفنّ من نفقات وأموال؛ فإنّ التأمّل في النّتائج المحققّة والإنجازات المجسّدة من مخرجات المدارس القرآنية يجعل من رفع التّحدّيات أولوية من أولويات الدّولة والمجتمع المدني، تحقيقاً للأمن الفكري والاجتماعيّ، وانتصاراً على الرذيلة والجريمة، ودعما للرخاء والاستقرار، وتوفيراً لفواتير هي أضعاف ما أُنفق على التّعليم القرآني[48].

[47] عيسى عمراني، الجامع الأخضر، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

[48] جمال غول، المدارس القرآنية، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

ثالثا: تحدّيات إعلامية تسويقية

إن انتشار وسائل الإعلام المختلفة وإساءة استعمالها شجّع على فساد الشباب وانحرافهم فكريا وسلوكيا، وإلهائهم عن مهمات الأمور بالسفاسف والتوافه؛ مما يتوجّب التفكير في طرق عصرية مبدعة ومشوّقة لتحبيب الأولياء وأبنائهم للتعليم القرآني؛ خاصة في مرحلتي المتوسط والثانوي؛ فمن الغرابة بمكانٍ أن نجد الكثير من المدارس القرآنية تستسلم لانقطاع الطلبة في هذه الفترة الحسّاسة من العمر، وهم كالثمار قبل ينعها وبدوّ صلاحها.

وبما أن وسائل الإعلام أكثر جذبا للطفل؛ فعلى إدارة المدرسة والمربّين الاستعانةُ بالتقنيات العصرية للمعلومات والاتّصالات كاستخدام الطرائق النشطة والتفاعلية ذات الوسائط المتعدّدة المتحرّكة في التعليم(مقاطع فيديو، صور، أصوات، أشكال)، وتقديمها بشكل جميل وجذّاب، وكذا النزول إلى الواقع الميداني وكذا الافتراضي للطلبة، وتوجيههم بما ينفع في دنياهم وأخراهم.

كما ينبغي أن يتوفّر للمدرسة مواقعُ تواصلٍ مع محيطها ومع العالم، كالفيسبوك، والواتساب...وغيرها، حيث تُعرض فيها الأنشطة بصفة دورية وعرض المستجدّات والاستشارات؛ لتسهيل إشراك الأولياء في العملية التربوية، وربط الجسور والصِّلات مع المهتمّين والمحسنين.

ومن الوسائل المساعدة في تحبيب المجتمع للمدارس القرآنية توفير أجواء الاحتفال والاحتفاء بحملة كتاب الله وتكريمهم بالمقام اللائق بهم، واحتضانهم في المسابقات وشتّى الفعاليات؛ فكما أن الفعاليات الرياضية يتم فيها تشريف الفائزين وتكريمهم في أجواء حفاوة وبهجة وفرح، ويتم تسليط الأضواء الإعلامية عليهم؛ فحملة كتاب الله تعالى أولى بالتشريف والتعظيم.

ومن التقاليد الاجتماعية الرائعة في الاحتفاء بطالب القرآن على مستوى الأسرة: تكريم خاتم الجزء القرآني في العائلة بما تيسّر من الإكراميات توزعّ على معلّمه وزملائه في القسم، واجتماع أقارب العائلة فرحًا بهذا الحدث المهم، ودعاءً له للمزيد؛ مما يحفّز باقي أطفال العائلة على الاجتهاد لشهود مثل تلك اللحظات.

رابعا: تحدّيات معرفية منهاجية

من التحدّيات المهمّة التي تشغل المدارس القرآنية أيضا تحديد المنهاج أو المقرّرات الدراسية للمواد الشرعية التي تُدرَّس إلى جانب القرآن الكريم وترتيله، كالتربية الإيمانية واللغة العربية والفقه الإسلامي والسيرة والتاريخ، فالمنهاج لبُّ العملية التربوية وعلى أساسه مدارُ المخرَجات صحةً وفسادًا، وكفاءةً ورداءة، فينبغي انتقاء أفضل المناهج وأكثرها احترافية ومناسبة لمستوى التلميذ وحاجاته النفسية والمعرفية، وأمهرها إخراجا وتصميما ومواكبة للعصر.

وقد ضربتْ مناهجُ الاستقامة الصادرة من تنسيقية المعاهد الثلاثة بوادي مزاب، وكذا منهاج مؤسّسة الاستقامة بالعاصمة بإشراف مركز 'كفاءة' أروع النماذج في تحقيق المواصفات العلمية والمعايير البيداغوجية في إعداد تلك المناهج على يد مختصّين أكفاء؛ فهي جديرة بالاحتذاء والاعتماد في مختلف المدارس القرآنية داخل الوطن وخارجه، مع بقائها مفتوحة دوما للتنقيح والتطوير في ضوء ملحوظات المختصّين المعلمين والأولياء وإثرائهم، دون إغفال مستجدّات العصر وتغيّراته المتسارعة؛ ليبقى صالحا ومواكبا لتطلّعات الأجيال.

كما يُطلب من المعلّمين عرض مواضيعهم التعليمية بأساليب مشوّقة، ومعالجتها بطريقة سلسة وممتعة بحيث تجعل من المادة التعليمية مادةً مرحة ممتعة يتمنّاها الطلاّب وإليها يتشوّقون، وكذا فتح الباب للاستماع والإصغاء إلى إشكالاتهم وأسئلتهم وانشغالاتهم.

ومن مجالات استخدام الوسائط الإعلامية: برامج الإدارة والإحصاء، برامج التحفيظ والتلقين، دروس التعلّم النشط، المقاطع المساعدة للتدريس، كأشرطة الكون والعلوم، وتقنيات الإعلام الآلي، وقصص الأنبياء، وانتقاء مقاطع مناسبة من مسلسلات التاريخ الإسلامي؛ ليعيش التلميذ أحداث التاريخ مستشعرا أهمّيتها، متّخذا قدوات إسلامية واقعية، بدل شخصيات كرتونية خيالية ذات رسائل سلبية ومفاهيم خطيرة.

ومما يعزّز تحبيب المدرسة وبالأخصّ في مرحلة الفتوّة (المراهقة): أسلوب المرافقة والمصاحبة في برامج ميدانية وترفيهية، وأنشطة لا صفّية هادفة؛ لأجل إتاحة أجواء فسيحة من التواصل الفعّال مع الطالب خارج أسوار القسم، بتنظيم رحلات وبرامج أخوية ترفيهية _بالأخص لطلبة المتوسط والثانوي_، ويتم فيها مناقشة إشكالات الطلبة وانشغالاتهم

الواقعية، إضافة إلى الحرص على متابعة حضورهم المستمرّ لصلاة الجماعة ومجالس الذكر والإرشاد، وأن يتحوّل أسلوب المربّي أحيانا من لغة الأوامر إلى لغة التشارك والاستشارة وطلب الرأي وتوزيع المسؤوليات، حيث يوفّر هذا الأسلوب جوّا من الثقة والاحترام المتبادل والتواصل البناء والعلاقة الإيجابية، ويزرع حب القرآن في نفوسهم، ويوطّد ارتباطَهم بالمدرسة والمربّين.

ومن الضروري التفكير في برامج الفاعلية والتأثير؛ بما يجعل للطالب طاقةً إيجابية، مساهما في محيطه المدرسي والمجتمعي، وكذا تنمية قدراته الإبداعية من خلال النوادي الثقافية والرياضية كنوادي الرسم والإنشاد والمسرح والإعلام الآلي والبرمجة والروبوتيك والابتكار والأنشطة الكشفية والرياضية والرحلات المؤطَّرة، وفي تلك النوادي يتدرّبون على مهارات الشجاعة الأدبية والاختراع والتصميم وإنتاج التقارير الإعلامية، ويتحوّلون من مستهلكين لوسائل الإعلام إلى منتجين مبدعين مؤثّرين.

خاتمة:

إن التعليم القرآني برسالته وأدواره المنوطة به صمام الأمان لمجتمعاتنا المعاصرة كما كان في العهود السالفة، بل الحاجة إليه اليوم أشدّ مع طوفان الغزو الفكري المعاصر، وإن المعارك الإعلامية اليوم لا تقلّ ضراوةً عن المعارك الميدانية، فينبغي لمدارسنا القرآنية رفع التحدّي، والأخذ بأسباب القوة من الاختيار الأمثل للطاقم التربوي ودعمهم وتكوينهم، والتمكّن من ناصية الاحترافية والإعلام والتسويق ومواكبة متطلّبات العصر، وتحديث البرامج والأنشطة؛ لتفعيل دورها ورسالتها، وجعلها مثالاً يحتذى للأبناء والشباب في التربية والتعليم والتزكية، لتحقيق النهضة والحضارة والبناء، وما التوفيق إلا من الله العليّ الحكيم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم أبو اليقظان، جريدة وادي مزاب، ع105، 1926م.
3. أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1964.
4. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، 1311 هـ.
5. أبو غانم بشر بن غانم الخراساني، المدونة الكبرى، تح: د. مصطفى باجو، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2007م.
6. أحمد بن غنيم النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1995م.
7. أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، مؤسسة الرسالة، دب، 2001م.
8. أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج3، ترجمة: فؤاد محمد نبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
9. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
10. جمال غول(2022م)، المدارس القرآنية بين الإنجازات والتحديات، https://url-shortener.me/OL8I .
11. حسينة ميلودي، دور المدرسة القرآنية في تربية وتحضير الطفل للتمدرس في المرحلة الابتدائية، مجلة حقول معرفية، جامعة البويرة، 2020.
12. الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، 2011م.
13. رفيقة يخلف، المدرسة القرآنية والطفولة، مجلة الباحث، جامعة الشلف، مج6، ع2، 2014.
14. سفيان رضوان صالح، تاريخ الجامع الأخضر ودوره في الحفاظ على التعليم القرآني، دراسة تاريخية، مقال منشور، 2022م.
15. عائشة بلامة مرزاية، المدارس القرآنية بالجنوب الجزائري ودورها، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، 2018م.
16. عبد الحميد بن باديس(1354هـ) تقرير في التعليم المسجدي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، https://binbadis.net/archives/2158 .
17. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط2، دار نهضة مصر، 1968م.
18. عبد اللطيف مشرف(2019م)، الدور التاريخي للمدارس القرآنية في مواجهة سياسة المستعمر والأمية، https://url-shortener.me/OL8D .
19. عبد الله بن هادي القحطاني، المدارس القرآنية دور عالمي جديد، مجلة البيان الرقمية، https://albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=5906، ع363، 2017.
20. عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط21، دار السلام، مصر، 1992م.
21. عيسى عمراني، الجامع الأخضر منارة التعليم المسجدي الباديسي، جريدة البصائر، 2020.

22. محمد السالم نواري وعبد القادر قصباوي، المدرسة القرآنية وأثرها التعليمي عند الطفل قبل مرحلة التمدرس، الملتقى الوطني الأول: دور حفظ القرآن في التحصيل والتفوق الدراسيين بالمدرسة الجزائرية، تيبازة الجزائر، 2023م.

23. محمّد بن بشير الإبراهيمي، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997م.

24. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية -قسم المغرب، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

25. محمد عبد الله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مؤسسة مهداوي، القاهرة، 2016م.

26. محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1978م.

27. مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الجامع الصحيح صحيح مسلم، ط1، دار الطباعة العامرة – تركيا، 1334 هـ.

28. مصطفى وينتن، تجربة تحفيظ القرآن في المدارس القرآنية بواد مزاب، مجلة الذخيرة، ع1، جامعة غرداية، 2017م.

29. يحي بكلي، التعليم الديني في الجزائر عبر التاريخ-دراسة ببليوغرافية، المطبعة العربية، غرداية، 2020م.

30. Hugo, Victor. *Claude Gueux*. Paris: Gallimard, 1993. First published 1834 by Évrélat.